

إلهي ما أروعك

إن هذا الكتاب يجب أن يبدأ بذلك الإعلان الواضح أن الله "موجود". إن هذا الإعلان ليس شيئاً يمكن أن نبرهنه، وهو لا يحتاج لأن نقضي الوقت في أن نثبت مدى صحته. إن كل شخص يعرف هذه الحقيقة، فالإنسان بداخله ذلك الوعي. إنه شيء يستطيع أن يدركه بقلبه. هذا الشيء باق منذ ذلك الوقت الذي كان فيه الإنسان على صلة بالله ومطيعاً لوصاياه، وما زال لدى الإنسان الوعي بتلك الوصايا والتي تظهر في قدرته على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ؛ فليس من المعقول أن يكون لدينا ذلك الوعي بالوصايا ما لم يوجد من وضع هذه الوصايا. بالإضافة إلى هذا فإن السماء من فوقنا، والخلقة من حولنا يتحدثان عن قوة وألوهية الله الأبدية؛ لذلك فعندما يقول شخص ما (إنه لا يوجد اله) فهو بكل تأكيد يدعي الجهل بحقيقة، هو على يقين بمدى صحتها.

ولكن من الممكن أن نعرف المزيد عن الله إذا اتجهنا إلى الكتاب المقدس؛ ففيه أعلن الله للجنس البشري كل ما نحتاج أن نعرفه عنه، وكل ما يريده منا. إنه مصدر وحي جميع أسفار الكتاب المقدس، فإن الكتاب البشريين كانوا (مسوقين من الروح القدس)؛ فما كتبوه كان ما صممه الله بالضبط. الكلمات التي كتبوها هي الكلمات التي أراد الله أن يعلنها، وبالرغم من ذلك فقد كتبوا بدون أي تدخل لإمكاناتهم البشرية وبدون نزعاتهم الشخصية. إن الكتاب المقدس ليس كلام الناس بل هو كلمة الله؛ لذا فلسنا مضطرين أن نجلس ونتساءل: يا ترى من هو الله؟ وليس علينا أن نخمن؛ لأنه هو أعلن لنا عن نفسه بنفسه.

الله روح :

إن الله يخبرنا أنه روح (يو 4 : 24) فليس له جسد مثلنا. هو اله غير منظور. لم يره أحد من قبل ولا يستطيع أن يراه (1 تيمو 1 : 6 ، 15 - 16)؛ فنحن لا نستطيع أن ندركه بالحواس البشرية أو بمقاييس الوزن والأبعاد. صحيح أننا نقرأ أحيانا عن عينيه وأذنيه وفمه وهكذا، لكن ذلك مجرد وسيلة توضيح لعقولنا الضعيفة المحدودة، أن الله يرى كل شيء ويسمع لصلوات شعبه ويعلن عن نفسه. ولا يمكن عمل صورة أو تمثال له؛ فهو يمنعنا حتى من محاولة فعل ذلك (خر 20 : 4). لكن يجب أن نحرض على أن نتذكر أن الله "روح شخصي"، وليس شيئاً لا نستطيع أن نصفه، لكنه "شخص". الله له أسماء،

ومن أشهر هذه الأسماء "يهوه" وفي اللغة العبرية "Yahweh" "يهوه"، وعادة ما يترجم هذا الاسم في الكتب المقدسة بكلمة (السيد أو الرب). فالله له علاقات وصلة بالأشخاص، الرجال منهم والنساء، وأكثر من واحد من عُرف بأنه "صديق الله" (خر33 : 11)، (يع2 : 23). ففي أول صفحات الكتاب المقدس نقرأ عن الله أنه تكلم، ويستمر ذلك إلى آخر صفحات الكتاب المقدس، ونحن نتعلم مراراً وتكراراً أنه من الممكن أن نعرف الله، ولكن لن يكون ذلك ممكناً لو كان الله مجرد قوة أو تأثير لا نستطيع أن نصفه.

الله عظيم جداً :

لأن الله روح؛ لذلك فهو غير محدود بأي شكل من الأشكال، ولا يوجد شخص أو شيء يمكن أن يشابهه أو يقارن به (اش40 : 18). فإذا فكرنا في المكان، فهو موجود في كل مكان (1مل8 : 27 ، مز139 : 7 - 10). "أما أملاً أنا السموات والأرض يقول الرب" (أر23 : 24)؛ فهو موجود في كل مكان في كل زمان، ولا يوجد مكان لا يوجد به الله. هذا لا يدعونا إلى الاعتقاد بأن أي مكان يوجد به جزء فقط من الله، فالله بجملته موجود في كل مكان بكل جلاله ومحبته وبكامل كيانه، وهذا ينطبق على كل الأماكن في كل الأوقات. كيف يكون ذلك؟ إن عقولنا البشرية لا تستطيع أن تستوعب هذا الأمر. المحدود لا يستطيع أن يدرك غير المحدود، فكل ما نستطيع فعله هو أن نؤمن بكل ما أعلنه الله عن نفسه وأن ننحني بإعجاب ووقار له.

بالنسبة لعامل الزمن، فإن الله سرمدى (اش40 : 28 ، حب1 : 12) "منذ الأزل إلى الأبد أنت يا الله" (مز90 : 2)؛ فهو "الذي وحده له عدم الموت في ذاته وبذاته" (1تيمو6 : 16). "فهو ساكن الأبد وسنوه لن تفتنى" (اش57 : 15 ، عب1 : 11 - 12). هذا أيضاً يفوق إدراكنا، فبداية كل شيء ترجع إليه، لكنه هو ليس له بداية، فهو الكائن والذي كان دائماً والذي سيكون دائماً، وهذا ما يعنيه ذلك التعبير الغريب (عالم بلا نهاية) الذي يستخدم دائماً في بعض العظات في الكنيسة. لا يوجد تغيير يمكن أن يطراً عليه، فلم ولن يوجد به أي تغيير لأنه دائماً كما هو (مل3 : 6 ، يع1 : 17). كل الأشياء تعتمد عليه لكنه قائم بذاته لا يعتمد على أي شخص أو أي شيء غير ذاته؛ فهو ينبع من ذاته؛ وهذا هو السبب في أن أحد أسمائه "الله الحي" (رؤ7 : 2)؛ وهذا هو السبب أيضاً في أنه أعلن عن نفسه لموسى بأنه "أهيه الذي أهيه" أي الكائن الذي يكون (خر3 : 14).

أما عن المعرفة فهو كلي المعرفة (مز139 : 2 - 5)، (1يو3: 20) "ولفهمه لا إحصاء" (مز147 : 5)، فبالنسبة لنا، فنحن لا نستطيع أن نتعلم أكثر من شيء في نفس الوقت، ودائماً حجم معرفتنا ضئيل. ولا يحتاج الله أن يتعلم، فهو يعرف كل الأشياء كما هي على حقيقتها وفي نفس الوقت، فليس هناك حدود لفهمه. إن هذا الأمر يبدو وكأنه لغز بالنسبة لنا، فليس هناك شيء لا يعرفه الله بكامل تفاصيله، ولا يوجد أمر يجله الله أو يتشكك فيه؛ وبالطبع هذا يعني أنه إله لا يمكن أن يخدع.

وأما عن القوة فهو دائماً يفعل كل ما يشاء (مز135 : 6 ، دا4 : 35). "كلما شاء صنع" (مز115 : 3). إن كل ما يسر أن يفعله محدد بطبيعته هو، ولأنه قدوس؛ فلا يمكن أن يختار أن يفصل عن القداسة والحق، ولأنه كامل في كل طرقه؛ فهو لا يمكن أن يختار أن يتغير، ذلك لأن التغير من الممكن أن يكون للأفضل أو للأسوأ، فلو كان للأفضل لدل ذلك على أنه لم يكن كاملاً. أما بالنسبة للتغير للأسوأ فإن ذلك يعني أنه لم يصل ان يكون كاملاً. صحيح أنه أحياناً يختار أن يغير الطريقة التي يتعامل بها مع البشر، ولكن ذلك يرجع إلى وجود تغير في الإنسان، وليس على تغيير في شخص الله، فليس هناك أمر أراد الله أن يفعله ولم يحدث (اش46 : 10)؛ لأنه هو وحده الإله، وباقي الكائنات هي خليقته. من يستطيع مقاومة مشيئته؟ (رو9 : 19 ، دا4 : 35) فإن كل الأشياء الموجودة في هذا الكون، مهما كانت صغيرة، فهي موجودة لتعمل كل شيء حسب رأي مشيئته (أف1 : 11).

إله فريد :

كل ما قد سبق وقرأناه حتى الآن يخبرنا عن الله، ولكنه ليس كافياً بأن نقول إن الله روح وموجود في كل مكان وأبدي وكلي المعرفة وكلي القوة، بل نحتاج أن نعرف أيضاً أي نوع من الآلهة هو؟

إنه قدوس. إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة (1يو1 : 5)، فشخصيته كاملة. هو طاهر ولا يوجد به أي دوافع أو أفكار أو كلمات أو أعمال شريرة، ولكنه من الصعب أن نصف قداسته بدقة؛ فالمخلوقات السماوية التي تحيط بعرش الله والتي هي خالية تماماً من أي دنس أو شر، لا تستطيع أن تنظر إلى مجد جلال الله، وتتادي بعضها بعضاً في إجلال

ابدي "قدوس. قدوس. قدوس. رب الجنود" (اش6 : 3). فلا عجب إذن بأن يقول عنه سفر الخروج إنه: "معتزاً في القداسة" (خروج15 : 11). ان هذه الصفة تعزل الله عن كل مخلوقاته (مز99 : 3 ، اش40 : 25)، فكيف يمكن للإنسان أن يقترب من الله؟ (مز24 : 3). ان عينيه أظهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور (حب1 : 13).

إله بار :

"الرب بار في كل طريقه" (مز145 : 17) وهذا البر لا يتغير أبداً (صف3 : 5). ان قانونه في حكم خليقته مؤسس وقائم على عمودين متلازمين هما: العدل والحق (مز97 : 2). انه دائماً يفعل ما هو حق. انه بار وعادل في كل حكم ينطق به، ولا يمكن أن يلام في أي قضاء يحكم به؛ لأنه صارم في عدله (تك18 : 25 ، مز51 : 4). ان ما يطمئنا انه هو وحده سيدين العالم. ان الدينونة ستكون عادلة، لن تحدث أخطاء فيها، فلا أحد سينال أكثر أو اقل مما يستحق (مز96 : 13).

إله محب :

"الله محبة" (1يو4 : 8 ، 16)، إنه "الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء" (خر34 : 6). هو اله "الرحمة" وكثير "الرأفة" (مز51 : 1) "بطيء الغضب وكثير الرأفة" (يو2 : 13 ، يون4 : 2) وهو "يسر بالرأفة" (مي7 : 18). كم هو عجيب أن الإله القدوس الصارم في عدله إله "محبة" ؟ ! إن عدله تطلب عقابي أنا، لكنه استوفى ذلك عندما مات البديل البريء بدلاً عني (1بط3 : 18). ان محبته قد سبقت وأعدت أمر الخلاص، ولهذا قد أرسل الله المخلص يسوع المسيح ليموت (1يو4 : 10). ان المحبة والعدل لا يناقض أحدهما الآخر، فكلاهما موجود في الله، وكلاهما موجود في عمله على الصليب.

إله صالح :

"الرب صالح للكل" (مز145 : 9)، "صالح أنت ومحسن" (مز119 : 68) فإن الناس بطبيعتهم يفضلون ألا يكون لهم إله ضمن أفكارهم، ويختارون أن يسلكوا في طرقهم الخاصة؛ فإنهم يرفضون أن يحكم الله حياتهم ويفضلون اختيار ما يتعبدون له،

ومع ذلك فإن الله يقابل ذلك بالإحسان والصلاح لأولئك الذين هم في الواقع أعداؤه. "مع انه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملاً قلوبنا طعاماً وسروراً" (أع14 : 17).

إن نضج المحاصيل وقوت الحيوانات وكل ما يتمتع به هذا الكون، مصدره الله (مز85 : 12 ، 104 : 24 – 31 ، يع1 : 17). لكن أعظم دليل يبرهن عن صلاح الله، نجده في طريقة معاملته لأولئك الذين كانوا أعداءه، ولكنهم تخلوا عن طريقهم هذا، وطلبوا الغفران منه "لأنك أنت يا رب صالح و غفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك" (مز86 : 5).

إله حكيم :

انه إله الحكمة. "ليكن اسم الله مبارگًا من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والجبروت" (دا2 : 20)، فعندما نرى الجمال والتناسق في خليقته، والتصميم المعقد في أصغر المخلوقات؛ نجد أنفسنا مدفوعين أن نقول: "ما أعظم أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعت. ملأنة الأرض من غناك" (مز104 : 24). إن جميع المهارات التي يمارسها الإنسان ويطورها، وجميع أنواع المعرفة والفهم الموجودين في جنسنا البشري، والطريقة التي تجعل أن كل ما يحدث يؤدي إلى تنفيذ مشيئة الله؛ كل ذلك يرجع إلى حكمة الله (اش28 : 23 – 29 ، اش31 : 2 ، دا2 : 21). ان حكمة الله وفهمه لا حدود لهما، وابتعد ما يكون عن قدراتنا على الفهم والاستقصاء. "يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما ابتعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء، لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فأعطاه فيكافأ؟ لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين" (رو11 : 33 – 36).

إله يفوق الفهم :

من الواضح أن ما يقوله الله عن نفسه واضح بما فيه الكفاية، لكنه أعجب مما يدركه العقل البشري. إننا لا نستطيع أن نستوعبه؛ لأن أفكاره وطرقه أعلى من أفكارنا "لأنه كما علت السموات عن الأرض، هكذا علت طريقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم" (اش55 : 8 – 9). اننا يمكننا أن نعرف الحق، ولكننا لا نستطيع أن نفسر كيف يمكن أن يكون كذلك، لأن عقولنا محدودة جداً. إن الله فقط هو الذي يستطيع أن يفهم الله، فهل

يستطيع أي شخص أن يفسر كيفية وجود الله ككيان شخصي بدون جسد؟ وهل نستطيع أن ندرك كيفية وجود الله بجملة في كل الأماكن وفي كل الأوقات؟ وهل نستطيع أن نفهم فكرة وجود الله بلا بداية له، وأنه لا يعتريه أي تغيير؟ ألا تنتاب عقولنا الحيرة والارتباك عندما نحاول أن نفكر في معنى أن الله كلي المعرفة؟ وكيف أن الله يعمل كل ما يشاء دون أن يكون أنانيًا؟ وكيف يمكن أن يكون كلي القداسة، والبر، والمحبة، والصلاح والحكمة، كل هذا في نفس الوقت؟

لا يمكن الإجابة على سؤال عن الله يبدأ بكلمة "كيف؟" ان عقولنا البشرية أعجز من أن تجيب على مثل هذه الأسئلة، لكن الأسئلة التي تحتوي على الكلمة "ماذا؟" يمكن الإجابة عليها ببساطة ووضوح؛ لأن الله أظهر الإجابة في الكتاب المقدس.

فإننا يمكننا أن ندرس ونعلن ما قد قاله الله، ويمكننا أن نقول ما هو الحق، لكننا لا يمكننا أن نفسر "كيف يمكن أن يكون هكذا". ان ما نتعلمه ونعرفه عن الله يفوق إدراكنا، وكلما زادت هذه المعرفة كلما زاد إدراكنا انه لا يوجد أي رد فعل آخر سوى أن نعبد الله بكل وقار وإجلال.

إن حقيقة الثالوث والتي نحن على وشك دراستها، هي أعظم سر يمكن أن يقال عن الله. نحن لن نفهم أو نستوعب كيف يمكن للإله الواحد أن يكون ثلاثة أقانيم، لكننا لا نأتي إلى هذا الموضوع متسائلين "كيف يمكن لهذه الأشياء أن تكون؟" لكننا نأتي كدارسين متضعين باحثين في كلمة الله متسائلين "ماذا قال الله؟" إننا نفرح لأن الله قد أخبرنا بالكثير عن نفسه، ونحن نثق في حكمته التامة التي قررت ألا تعلن لنا عن المزيد. ولأن طبيعتنا وضيعة؛ فلا يمكننا أن نتدخل في أمور غير التي قد سمح لنا الله بالتدخل فيها. نحن لسنا مثل الله، اننا مخلوقات ولن يمكننا أن نكتشف أمورًا لم يعلنها لنا الله، ولن يمكننا أن نفهم ما لم يشرحه الله.